مسيو نوبل

١٨٣٣ — ١٨٩٦

بقلم الاستاذ صدر الدين احمد

نشر هذا المقال تنويهاً بانقضاء ١١٤ سنة على مولد مسيو نوبل الشهير . ولعل الكاتب حين يعرض لهذا الجانب من حياة مسيو نوبل انما يعبر عن عقيدة الانسانية التي تأبى اهلاك البشر في حلبة المخترعات الماحقة .

البيان

يزعم كثير من المبالغين ان (الفرد برناد نوبل) هو المثل المنقطع النظير للرجل الوافر الاحسان . . بل الاشتراكي الاجتماعي المتزن السخاء . فلقد شارك في خدمة العلم قبل ان مات ، ثم اشرك العلماء في ثروته بعد ان مات ، وذلك بانه مذ اوشك ان يهلك اوصى بارباح ثروته المرصودة ان توزع اشطاراً بين خمسة مستحقين من نوابغ كل عام : اما احدهم فالذي يأتي باهم استكشاف في مجالي علم الفيزياء ، واما الثاني فالذي يظفر بانفع ابتكار في مباحث علم الكيمياء ، واما الثالث فالذي ينجز اعظم نجاز في علم الطب أو الفسلجة ، واما الرابع فالذي ينتج المع نتاج في فن الادب ، واما الخامس فالذي يجاهد خير جهاد في توثيق اواصر التقارب والسلام ما بين الهيأة الدولية عامة . فماذا بعد هذا يمكن ان يقوم دليلا على ان الرجل خليق بالتمجيد الزاكي ، والثناء الجميل المعطار .

انا ـ في الحقيقة ـ لا اشايع هؤلاء المبالغين في كيفما تخيلوا « نوبل » من خلال وصيته هذه ... بل ولن اشايعهم في قليل او كثير ما زالوا يعمهون ان صاحبهم هو مجرم جدير بالازدراء . أفلا سألوا انفسهم يوما : من اين جمع تلك الثروة الضخمة التي تبلغ ارباحها السنوية زهاء خمسين الفاً من الجنيهات ؟ اذا كانوا لا يعلمون ، فلا بأس عليهم ان يعلموا بانه قد جمعها من طريق حذاقته في استنباط افتك اساليب القضاء على مدنيات الامم وحضارات الشعوب ومقدرات العوائل والافراد !

فكيف كان ذلك ؟

كان مسيو نوبل رجلا مفتوناً بدراسة المواد المتفجرة منذ اول نشأته العلمية في بلاد (السويد) ، وكان لا يلمس في نفسه مسرة عظمى إلا حيث يتلمس املا ملطخاً بالدم يلوح له منه انه سيكون جزءاً من مخترع مهلك يحرق به الاخضر واليابس عما قريب ! فاعتكف على تحقيق ذلك الموت الزؤام يواصل تجاربه الجهنمية اشق مواصلة حتى دق الساعة الرهيبة في عام ١٨٦٤ منذراً بانه قد اخترع [الديناميت] الناسف ، وبانه سيقدم فيه الى العالم اداة حاسمة لتمزيق الاشلاء وإزهاق النفوس وتخريب الديار القائمة على مجاري الدعة والامان !

من هنا شرع (نوبل) يستغل الثروات الاثيمة من خزائن الدول ثوابا له على مخترعه الغاشم الوبيل ، ومن هنا استمد لنفسه الشهرة الباغية التي ارتكزت على جماجم القتلى وعظام الشهداء المبثره في كل صوب وحدب ، ومن هنا اتاح السبيل لحكومات الغرب ان تستكلب في جناياتها القاسية على حريات الامم الضعيفة المجردة من كل سلاح .

ولكن ، اذا كان [نوبل] مجرما هكذا على التحقيق فماذا عسى دعاه الى ان ينقلب رجلا محسناً الى العلماء بجوائزه السنوية الجليلة المعروفة ؟

اجل ، ان الذي دعاه الى ذلك هو شيء واحد ليس غير هو الندم النفسي على ما اجرم بالذات على الانسانية البريئة من كل ذنب ، هو الندم النفسي الذي ارعب شيخوخته الدابرة الى موت عابس اليم ، هو التدم النفسي الذي الجأه الى التذرع بما قد يخفف عن سيئاته ويستمطر غفران السماء ، ولكن هيهات ثم هيهات ان يظفر بقطرة من عفو الله وغفرانه بعد ما غالبه على ابادة مخالقه الابرياء .

ذلك هو [الفرد برناد نوبل] على حقيقته وفي حقيقته معاً ، فهل ترى يستحق التمجيد الزاكي في حال من الاحوال ؟ ام يستحق النقمة الاجتماعية ما قامت في الارض حروب ؟

النجف : صدر الدين احمد